بلاغة القرآن الكريم – قسم التفسير وعلوم القرآن

المرحلة الثانية- المحاضرة الثانية.

م. م صالح حميد سفاح

المجاز: (أركانه، وأقسامه)

يُعدُّ المجازُ من الوسائل البَيَانية التي تُساهمُ في إيضاح المعنى عند البلاغيين؛ إذ به يخرجُ المعنى مُتَّصفاً بصفةٍ حِسِّيَّةٍ، تكادُ تعرضُه على عَينِ السَّامع، لذا شُغِفَتِ العربُ باستعماله، وأتوا فيه بكلِّ معنىً رائقٍ، وزيَّنوا به خُطَبَهُم وأشعارَهم؛ لميل لُغتهم إلى الاتساع[1] في التَّعبير والدلالة على كثرة معاني الألفاظ الجميلة، فيحصل للنفس به سرور وأريحية، وسنقف-إن شاءَ اللهُ تعالى- على هذا الأسلوب البَيَاني؛ لنرى سببَ ذلك الاعتناء الذي حظي به عند علماء اللغَة والبَيَان، مروراً بمعاني الحقيقة والمجاز اللغوية والبَيَانية.

الحقيقةُ والمجازُ- لُغَةً واصطلاحاً:

الحقيقةُ: الحقيقةُ في الأصلِ وصفٌ على وزن(فعيل) بمعنى: فاعل، مِن: حقَّ الشَّيءُ، أي: ثَبَتَ، أو بمعنى(مفعول) من حققتُهُ، أي: أثبتُّه، فهو مُثْبَتٌ.

واصطلاحاً: ما أُقِـرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة من غير تأويل، كاستعمال(**الأسد**) في الهيكل المخصوص، فلفظُ (**الأسدِ**) موضوعٌ له بالتَّحقيق ولا تأويل فيه، وكذا لفظتي (**البحر، والشمس**)، وهذا مُجملُ القول في الحقيقة، والكلام عليها من مباحث اللغَة لا البلاغة، وإنَّما تطرقنا إليها هنا لأجل أن نوضِّح المجاز المبني عليها؛ لأنَّها النقطة التي انطلق منها المجاز، كما سيأتي بيانُهُ.

المجاز: المجازُ في **اللغَة** مصدرٌ ميميٌّ على وزن(مَفعَل)، من جَازَ المكانَ يجوزُه إذا تعدَّاه، نُقل إلى الكلمة الجائزة، أي: المتعديةِ مكانَها الأصليَّ أو المَجوزِ بها، على معنى

---

[1] أرى تسمية المجاز بلفظ: (**الاتساع**) أقرب من غيرها؛ تجنُّباً للخلاف الحاصل بين أهل العلم، والله-تعالى- أعلم.

أنَّهم جازوا بها، وعدَّوها مكانَها الأصليَّ، أو(مَفعَل) بمعنى الطَّريقِ، يُقال: جعلتُ كذا مجازاً لحاجتي؛ أي: طريقاً لها؛ لأنَّ المجاز الاصطلاحيَّ طريقٌ للمُبالغة.

أمَّا المعنى **الاصطلاحي** للمجاز فهو ظاهرٌ من المعنى اللغوي له، بالإضافة إلى أنَّه ضِدُّ الحقيقة، إذ هو (**استعمالُ اللفظة المفردة في غير ما وُضِعَتْ له في أصلِ اللغة؛ لعلاقةٍ مع قرينةٍ لفظيةٍ أو حاليةٍ تمنعُ من إرادة المعنى الحقيقي**)، فلفظ(**البحر**)-مثلاً- له معنى مخصوص في اللغة(أصل وضعه)، فلو قلنا: (**زارني بحرٌ فانتفعتُ بعلمه**)، لصار استعمال اللفظ هنا في غير محله؛ إذ المعنى الآن: زارني عالـمٌ فانتفعتُ بعلمه، والعلاقة الجامعة بين(**العالم والبحر**) هي السعة في كلٍّ منهما، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي لفظة(**زارني**)؛ إذ البحر الحقيقي لا يزور، فاللفظة هنا بهذا التركيب صارتْ مجازيةً عند البلاغيين.

أقسام المجاز:

ينقسم المجاز عند البلاغيين إلى قسمين: (**مَجَازٌ لُغَويٌّ، ومَجَازٌ عَقليٌّ**):

القسم الأوَّل: المجاز اللغوي:

يُعرَّفُ المجاز اللغوي بأنَّهُ: (**اللفظُ المُستعملُ في غيرِ ما وُضِعَ لَهُ، لعلاقةٍ-علاقة مُشَابهَةٍ أو غير مُشَابهَة-، مع قرينةٍ-لفظية أو حالية- مانعةٍ من إرادة المعنى الحقيقي**)، وعلى هذا ينقسم المجاز اللغوي إلى قسمين:

1-ما كانت العلاقة بين معنييه-المجازي والحقيقي- علاقة مشابهة، فهو عند علماء البلاغة يُسمى(**الاستعارة**).

2- ما كانت العلاقة بين معنييه-المجازي والحقيقي- غير المشابهة، يعني نوع صلة أو ملابسة من الملابسات، فهو عندهم يُسمى(**المجاز المُرْسَل**).

أ- الاسْتِعَارَةُ:

الاستعارةُ نوعٌ من أنواعِ المجازِ اللغوي، تبدأُ حيثُ ينتهي التَّشبيه؛ إذ مبناها عليه، وتقوم على تناسيه بادعاء أنَّ المُشَبَّه هو المُشَبَّه به نفسه-على ما سيأتي- وكُلَّما أوغلنا في هذا التَّناسي كانت بلاغةُ الاسْتِعَارَة أقوى تأثيراً في السَّامعين، فتعطيهم الكثيرَ من المعاني، حتى يُستخرج من الصَّدفةِ الواحدةِ الدُّرر، ويُجنى من الغُصنِ الواحد أنواع من الثَّمر، لذا عرَّفها السَّكَّاكِيُّ بقوله: (**الاسْتِعَارَةُ** هي: **تشبيهٌ حُذِفَ أحَدُ طرَفيهِ، أي: أنْ تذكر أحدَ طرفي التَّشبيه وتُريد به الطَّرف الآخر، مُدَّعياً دخول المُشَبَّه في جنسِ المُشَبَّه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمُشَبَّه ما يخصُّ المُشَبَّه به**)، ولها أنواعٌ كثيرةٌ، كان من بينها ما هو قائمٌ على وجود (**المُشَبَّه به**) وعدم وجودهِ، على ما يأتي:

1-الاسْتِعَارَة المَكْنِيَّة: وهي **ما حُذِفَ فيها (المُشبَّه به)، ورُمِزَ لهُ بشيءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ**، ومعنى (**مَكْنِيَّة**): أنَّ المُشَبَّه به مُكَنًّى أو مُغطًّى أو مستور، مثال ذلك أن تقول: (**ليس لِجُودِكَ سَاحِلٌ**)، فهذا التعبيرُ هو استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ مأخوذةٌ من قولهم: (**جُودُك كالبحر**)، وعندما جُعِلَ منه استعارةً مَكْنِيَّةً حُذِفَ المُستعار منه(**المُشَبَّه به**) وهو هنا(**البحر**)، وأُبقي المُستعار له(**المُشَبَّه**) في الكلام وهو هنا(**الجود**).

وفي إجرائِها نقول: شُبِّه الجودُ بالبحر، وحُذف المُشَبَّه به(**البحر**)، وأُبقيت في الكلام لازمةٌ من لوازمه تدُلُّ عليهِ وهي لفظة(**الساحل**)، باعتبارها قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ لأنَّ الجود الحقيقي لا ساحل له، كما أنَّ لفظة(**ساحل**) تُناسِبُ البحر في استعماله الحقيقي، وتشبه الجود في استعماله المجازي، فالاستعارة على ذلك صارت مَكْنِيَّة.

2-الاسْتِعَارَة التصريحيَّة: وهي: **ما صُرِّحَ فيها بلفظ (المُشَبَّه به)**، ومعنى تصريحية: أي أنَّ المُشَبَّه به قد ظهر أو صُرِّح به في الكلام وحُذِفَ بدله المُشَبَّه، نحو: (**زارَني بحرٌ فأعجبني حُسْنُ حَدِيثِهِ**)، فأصلُ الكلام: **زارني رجلٌ عالمٌ**-وهو هنا محذوف؛ لأنَّهُ المُشَبَّه-، والمُشَبَّه به(**بحرٌ**) وهو هنا موجود أو مُصرَّحٌ بلفظه، كما أنَّ في الكلام قرينةً لفظيةً تمنعُ من إرادة المعنى الحقيقي وهي لفظة(**زار**)، التي هي لازمة

من لوازم المُشَبَّه(**الرجل العالم**)، لأنَّ البحر الحقيقي لا يزور، فالاستعارة هنا تصريحية؛ لأنَّ (**المُشَبَّه به**) موجودٌ في الكلام.

وفي إجرائها نقول: **شُبِّهَ الرجلُ العالمُ بالبحر**، وحذف المُشَبَّه وأُبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدلُّ عليه وهي كلمة(**زار**)، كما أنَّ لفظة(**زار**) تُناسِبُ العالِم في استعماله الحقيقي، وتشبه البحر في استعماله المجازي، فالاستعارة على ذلك صارت تصريحية.

ويندرجُ تحت هذين النوعين من الاستعارة مُسَمَّياتٌ كثيرةٌ، كان من بينها ما يأتي:

1-الاسْتِعَارَة الأصلية: وهي **الاستعارة التي تجري في أسماء الأجناس**، كـ(**أسد ورَجُل ونُور وظلمات**....الخ)، وقد سُمّيت (أصليّة) لأنَّ دخول الاستعارة فيها يكون دخولاً أولياً مباشراً أصلياً.

2-الاسْتِعَارَة التبعية: وهي **الاستعارة التي تجري في الأفعال والمُشتقَّات**-كـ(**اسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المُشبهة، وصيغ المبالغة**)- فالاستعارة تجري في هذه الأفعال والمشتقات بالتبع فلا نُشبه الفعل بالفعل مباشرةً، بل بالتبع عن طريق مصادرها.

وهاك بعض الأمثلة التوضيحية على تلك المسميات(التصريحية والمَكْنِيَّة، التبعية والأصلية):

من أبلغ وأروع أمثلة الاسْتِعَارَة المَكْنِيَّة الجارية في الأسماء(**أَصْلِيَّة**)، ما ورد-على لسان نبيّ الله زكريا-عليه السلام- في قوله-تعالى-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [مريم:٤]، فالتَّعبير عن ظهور الشَّيب وانتشاره بالاشتعال، قد أبرز الشَّيبَ في صورةٍ واضحةٍ بَيِّنَةٍ، تجذب المشاعر والوجدان، وتُنَبِّهُ العقول إلى أنَّ انتشار الشَّيب لا يمكن تلافيه ودفعه، كما أنَّ شواظ النَّار لا يُتَلافى، فإذا أجرينا الاستعارة في لفظ(**اشتعل**) قلنا: استعارة **تصريحية تبعية**؛ إذ شُبهتْ سرعة انتشار الشيب في الرأس بالاشتعال، فَحُذِفَ المُشَبَّه(سرعة الانتشار)، وأُبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدل عليه وهي

لفظة(**الرأس**)، واشتق من الاشتعال(**اشتعل**) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وأما إذا أجرينا الاستعارة في لفظة(**الرأس**) فهي **مَكْنِيَّة أصلية**؛ لأننا نقول في إجرائها: **شُبِّهَ الرأسُ بنوعٍ من أنواعِ الوقود**، فحذف المُشَبَّه به وأُبقيت في الكلام لازمةٌ من لوازمه تدلُّ عليهِ وهي لفظة(**اشتعل**)، فالاستعارة مَكْنِيَّةٌ أصليةٌ؛ فقولنا: مَكْنِيَّة لحذف المُشَبَّه به(**الوقود**)، وقولنا: أصلية لإجرائها في الأسماء مباشرةً.

ومن باب الاسْتِعَارَة قوله-تعالى-: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭽ [الأعراف:١٥٤]، فإذا أجرينا الاستعارة في(**ه**) فهي **تصريحية تبعية**؛ فقد شُبِّهَ (**هدوء الغضب بالسكوت**)، بجامع عدم حصول شيء في كلٍّ منهما، واشتُقَّ من السكوت الفعل(**ه**) بمعنى (**هدأ**)، فالاستعارة **تصريحية**(لوجود المُشَبَّه به)، **وتبعية**(لجريانها في الأفعال).

وإذا أجريناها في الاسم(**ه**)، فهي **مَكْنِيَّة أصلية**، فقد شبه(**الغضب بإنسان**)، فحذف المُشَبَّه به(**الإنسان**) وأُبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدل عليه وهي لفظة(**ه**)، باعتبارها قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فالاستعارة: **مَكْنِيَّة**(لحذف المُشَبَّه به)، **وأصلية**(لجريانها في الأسماء).

ومن أمثلة الاستعارة أيضاً قولهم: (**طَارَ الخبرُ**)، ففي لفظة(**طار**) استعارة **تصريحية تبعية**، فقد شُبِّهَ **(سرعة انتشار الخبر بالطيران)**، فحذف المُشَبَّه وأُبقيت في الكلام لازمةٌ من لوازمه تدُلُّ عليه وهي لفظة (**الخبر**)؛ لأنَّ الخبر لا يطير، واشتقَ من الطيران (**طارَ**)، بمعنى انتشر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، مع مراعاة أنَّ لفظة(**انتشر**) تناسب (**الخبر**)، وتشبه لفظة(**طار**).

أما إذا أجرينا الاستعارة في لفظة(**الخبر**)، فهي استعارة **مَكْنِيَّة أصلية**؛ إذ شبه **(الخبر بطائر يطير)**، فحذف المُشَبَّه به، وأُبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدل عليه وهي لفظة(**طار**)، إذاً فالاستعارة مَكْنِيَّة أصلية.

وبناءً على ذلك يمكن استعمال المعادلة التخطيطية الآتية في كُلِّ جُملةٍ فيها استعارتين:

3-الاسْتِعَارَةُ المركَّبَةُ (التَّمثيليَّة):

الاسْتِعَارَة التَّمثيليَّة من أبلغُ أنواع المجاز مُفرداً ومُركَّباً، ومثارُ فُرسان البلاغة؛ إذ هي **(تركيبٌ استُعْمِلَ في غيرِ ما وُضِعَ له؛ لعلاقة المشابهة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ معناه الأصلي، بحيث يكون كلٌّ من المُشَبَّه والمُشَبَّه به هيأةً أو صورةً مُنتزعةً من مُتعدِّدٍ)**؛ وذلك بأن تُشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أُمورٍ بأُخرى، ثمَّ تُدخل المُشَبَّه في الصورة المُشَبَّهة بها، مبالغةً في التَّشبيه، كما تُعَدُّ الأمثال المأثورة عن العرب استعاراتٍ تَمْثِيْلِيَّةٍ إذا استُعملت في مواقف مشابهة لمواقفها الأصْلِيَّة.

والآيات التي جرت مجرى المَثَل في القرآن الكريم كثيرةٌ ومتنوعة، كقوله تعالى [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ البقرة:٢١٦]،

، قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

[هود:٨١]، .

فكلُّ هذه الآيات الكريمات تراكيبٌ جاريةٌ مجرى المثل، وتصلح أن تكون استعارةً تمثيليةً عندما تُوجد حادثةٌ جديدةٌ مُشابهةٌ لمعنى المَثَل القرآني، فَيُقَالُ فيمن تراهم مُجتمعين في الظاهر، وقُلُوبُهم وأهواؤهم مختلفة في الواقع